مجمع البحوث الإسلامية
السلسلة العلمية

قضية السنة

فضيلة الشيخ
محمد متولي الشعراوي
من كبار علماء الأزهر الشريف
(ت: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)

قضـــية السُّـــنَّة

لإمام الدعاة إلى اللّه
فضيلة الشيخ
محمـــد متولـــى الشـــعراوي
(ت١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

إشـــــراف

أ.د/ محيـي الدين عفيفي أحـمـد

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الشعراوي، محمد متولى
قضية السنة
الأزهر الشريف ـ مجمع البحوث الإسلامية
١ـ خط الطاعة واحد
٢ـ تصحيح الأحكام خير دليل
٣ـ الرسول والتشريع
٥٦ص، ٢٠سم
العنوان: مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

رقم الإيداع: ٢٧٥٥٧/ ٢٠١٧
الترقيم الدولى: ٢-٨٣-٥٠٠١-٩٧٧-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعائه واهتدى بهداه .. أما بعد،،،

فلقد كان الأزهر الشريف على مر تاريخه ـ ولا يزال ـ الحارس الأمين على الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، يؤدي رسالته، ويتحمل مسئوليته في المحافظة على الدين وتراثه وعلومه الشرعية والعربية وغيرها، حتى صار كعبة العلوم الدينية والعربية والثقافية في مصر والعالم، ومركز إشعاع روحي وديني وثقافي، ينشر مباديء وأخلاق الإسلام، ويوضح المنهج النبوي في مواقف الحياة المتنوعة بعيدًا عن التعصب الأعمى، أو الاضطهاد الفكري أو المادي، مراعيًا لظروف الناس وحاجاتهم، وكتب الله له القبول فتهيأت له النفوس على مدار عقود وقرون طويلة، فأصبح الجامعة الإسلامية الكبرى الفريدة في العالم بتاريخها وأهدافها ورسالتها ومنهجها ووسطيتها.

إن الأزهر الشريف يضطلع بمسئولياته ويواصل مسيرته العلمية في بيان حقائق الإسلام بمنهج وسطي معتدل يحترم التعددية الدينية والمذهبية والفكرية، ويعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، لأجل حماية العقول من الغلو والتطرف والتسيب.

وانطلاقًا من هذه المسئولية كان الدور العظيم لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب في النهوض بالتبعات الملقاة على عاتق الأزهر الشريف في الداخل والخارج، ببيان حقائق الإسلام ومواجهة التطرف والإرهاب، وأهمية المجابهة الفكرية وبيان جهود الأزهر الشريف وجميع هيئاته حيث أكدّ فضيلته: أن الأزهر الشريف قد عاش أكثر من ألف عام ـ وسيظل ـ يُدرِّس المذاهب الفقهية، والمسائل الكلامية على افتراقها، والعلوم الإسلامية بمختلف أذواقها ومشاربها، لكن الأزهر قد وجد ضالته ـ منذ القدم ـ في مذهب أهل السنة والجماعة، واتخذه طوق نجاة للمسلمين كلما عضّتهم نوائب التشرذم وآفات التعصب المقيت لمذهب يراه أصحابه: هو الإسلام الذي لا إسلام غيره .. وسبيل الأزهر اليوم هو سبيله بالأمس: السعي الحثيث لجمع كلمة المسلمين، ووقوفهم صفًا واحدًا في مهب العواصف والتيارات.

إن الأزهر الشريف الذي يرفع راية «جمع الكلمة» بين المسلمين، لا يتردد في مقاومة موجات الإلحاد، والتغريب، والإفساد الأخلاقي، ولا يدخر جهدًا في مقاومة الانحراف التكفيري الطارئ، والمرفوض من جماهير الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا، وليس أمامه ـ من أجل تحقيق هذا الهدف ـ إلا مواصلة السعي ـ بصدق ـ لجمع علماء المسلمين على كلمة واحدة، لمواجهة الأخطار التي تهدد الجميع، ولتحقيق مصالح الأمة، ودرء المفاسد عنها، ومن دون هذا الالتقاء،

فإن النتائج لن تكون على النحو الذي نرجوه لأمتنا، وتقتضيه مصلحتها في هذه الظروف التي يمر بها العالم الآن[1].

هذا، وتتعاظم آمال وطموحات الناس حول الأزهر الشريف يومًا بعد يوم، وتتعالى صيحات النداء والفزع إليه ـ بعد الله تعالى – باعتباره الملاذ الآمن للمسلمين في العالم من الانحراف الفكري، والتطرف والإرهاب ، وقد عمل الأزهر الشريف على تلبية هذه النداءات وتحقيق الطموحات، وذلك بكل هيئاته ودواوينه ودوائره العلمية والمعرفية، ومنها: مجمع البحوث الإسلامية، الذي أسهم بجهود عظيمة في العطاء العلمي للأزهر الشريف من خلال دراسة القضايا العلمية المختلفة، إيمانًا منه بدوره العلمي في تصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان وسطية وسماحة الإسلام، وأهمية التيسير ورفع الحرج عن الناس.

إن ما قدمه مجمع البحوث الإسلامية ويقدمه في هذا الصدد ليؤكد جهوده الدؤبة في خدمة الحياة العلمية والعملية للمسلمين؛ في التنظيم، والتشريع، والثقافة، والحضارة، والاجتماع، والسلوك، والأحوال الشخصية، والمعاملات، وما إلى ذلك مما يدخل في صميم الحياة ومتطلباتها.

(١) كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د/ أحمد محمد الطيب، في افتتاح مؤتمر خطورة الفكر التكفيري والفتوى بدون علم، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إن مجمع البحوث الإسلامية وهو يؤدي دوره باعتباره هيئة علمية وبحثية وثقافية ومعرفية بالأزهر الشريف، لا ينفصم عن واقع الناس والمشكلات والتحديات التي تحيط بهم، وظهور أنماط من السلوك وألوان من المعاملات تتطلب ضرورة بيان الرأي والشرعي والديني لها؛ حتى لا ينخدع الناس بالسيىء منها، أو ينساقوا وراء الفكر المنحرف والفتاوى الشاذة التي تعاني منها مجتمعاتنا في ظل انتشار التطرف والإرهاب.

ومن المؤلم غاية الألم أن ترتكب جرائم باسم الإسلام وباسم شريعته السمحاء، وتُنفذ العمليات المدمرة مع صيحات التهليل والتكبير، ودعوى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، الأمر الذي استغله الإعلام الغربي أسوأ استغلال في تشويه صورة الإسلام، وتقديمه للعالم بحسبانه دينًا همجيًا متعطشًا لسفك الدماء وقتل الأبرياء، وأنه يحرض أبنائه وأتباعه على العنف والكراهية والأحقاد، وللأزهر موقف واضح في هذه القضايا قام بإعلانه وبيانه كأشد ما يكون البيان وضوحًا وجلاءً.

وانطلاقًا من دور المجمع ومسئولياته العلمية؛ فقد قام بإعادة طبع مجموعة من الكتب العلمية النافعة، والتي تتنوع موضوعاتها، وتلبي عددًا من احتياجات المرحلة الراهنة، حيث تشتمل هذه الكتب على قضايا ومسائل تتصل بالعقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتفسير، وعلوم السنة النبوية، والثقافة الإسلامية في مجالاتها المختلفة؛ ليكون

الناس على بينة من أمرهم فيما يتعلق بالأمور الدينية والاجتماعية والأخلاقية، خاصة في ظل تراجع منظومة القيم الأخلاقية، وانتشار موجات التطرف والإرهاب والتكفير والإلحاد والتسيب والإنحلال، مما يستلزم معالجة هذه المسائل من خلال الفكر الوسطي الذي يعمل الأزهر الشريف على ترسيخه.

نسأل الله تعالى القبول، وأن يكون العمل خالصًا لوجهه تعالى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

أ.د/ محيي الدين عفيفي أحمد

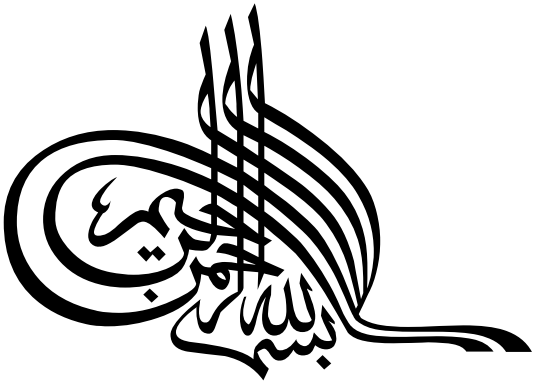
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2]

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

في حديث العرباض بن سارية مرفوعًا: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ».

رواه أبو داود وقال: حديث حسن صحيح

«فعليه بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ».

رواه الترمذي

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

رواه البخاري

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

متفق عليه

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأصلى وأسلم على أسعد خلق الله أجمعين سيدنا محمد ﷺ وبعد:

فالقضية التي سنناقشها قضية هامة جدا برزت هذه الأيام من خلال أبواق كثيرة تحاول أن تفرض نفسها ظلمًا على الساحة الإسلامية .. لترضى اتجاهات معينة بدأت تحاول أن تضرب على نغمة واحدة عن سنة رسول الله ﷺ وهى كلها تقول وبلا حياء .. إن السنة غير ملزمة للمسلمين.. بمعنى أن من أخذ بها يثاب.. ومن تركها فلا يعاقب..

إن هذا معناه أن ترك سنة رسول الله ﷺ وعدم العمل بها لا يعتبر حرامًا .. أو بعبارة أوضح ليس حرامًا..

ومما يؤسف له حقيقة أن بعض الأسماء المعروفة قد بدأت تؤيد هذا الاتجاه، وعلى الساحة الإسلامية ظهرت تيارات تحاول إنكار السنة. وهدفها أن تنال من رسول الله ﷺ.

وبداية نقول: إن رسول الله ﷺ قد أخبرنا عن هذا الاتجاه قبل أن يأتي وقبل أن نعرفه..

فقد قال رسول الله ﷺ في شأن هؤلاء وقبل أن يظهروا بيننا ويروجوا أفكارهم المسمومة الضالة والمضلة:

«لا أَلْفَيَنَّ[1] أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[2].

إن ظهور أمثال هؤلاء المجادلين في السنة. . وقولهم بأن عدم الأخذ بسنة رسول الله ﷺ. لا يعتبر حرامًا، ولا نقصًا في الدين! نقول لهؤلاء: إن ادعاءكم هذا لم يكن مفاجأة لنا، إنما هو من معجزات النبوة التى أنبأتنا بما سيحدث، قبل أن يحدث بعدة قرون.

هؤلاء الناس طالبوا بأن نحتكم إلى القرآن الكريم، ونحن نتفق معهم، وسنحتكم معهم إلى القرآن الكريم .. لنرى من منا على حق ومن هو على باطل..

ماذا قال الله ﷻ في كتابه العزيز.. قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

(١) ألفين : أجدن.
(٢) سنن أبى داود ٤٦٠٥ وسنن الترمذي ٢٦٦٣ وابن ماجه ١٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

وفى آية أخرى يقول – سبحانه وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] .

ويقول سبحانه:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[2].

ويقول الحق: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[3].

ويقول ﷻ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[4].

ويقول الحق – تبارك وتعالى-: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[5].

هذه الآيات السابقة، التي سنتحدث عنها هي من آيات القرآن الكريم، التي يطلبون أن نحتكم إليه.. فماذا تقول هذه الآيات بالنسبة لرسول الله ﷺ ؟

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النساء الآية: ٦٩.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٢.

الآية الأولى تقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

هذه الآية الكريمة تلفتنا إلى أن طاعة الله، وطاعة الرسول هي من منبع واحد، هو: طاعة الله. والرسول ﷺ مبلغ عن الله، يحمل إلينا القرآن، الذى يوحى إليه دون ما شهود من البشر..

أي: بينه وبين جبريل عليه السلام ثم يأتي الرسول – عليه الصلاة والسلام – ليبلغنا بالقرآن، كما أوحى إليه.. دون تغيير حرف واحد.

لقد كان رسول الله ﷺ يتلو الآية عندما تنزل عليه، ثم يقرؤها في الصلاة، ثم يمليها لكتبة الوحى من الصحابة – رضوان الله عليهم– لتحفظ في الصدور، وتكتب في السطور.. إذن فطاعة الرسول ﷺ هي من طاعة الله.. لأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – يبلغنا ما يريده الله – تبارك وتعالى– منا.. فطاعتنا له، وتصديقنا إياه في كل ما يخبر عن الله .. هو طاعة لله.

***

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

خط الطاعة واحد

نأتي إلى الآية الثانية، التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1].

في الآية الأولى كانت طاعة الرسول من طاعة الله - سبحانه- وفي هذه الآية الكريمة طاعة الرسول من أمر الله.. والله -تبارك وتعالى- أعطى الرسول هنا حق الطاعة، وطلب من المؤمنين أن يطيعوه. فكأن هناك أشياء سيتم تشريعها من الله ﷻ وأشياء سيتم استكمال تشريعها من رسول الله ﷺ.

الله ﷻ سيترك لرسوله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى حدودًا معينة في التشريع .. ولذلك طلب منا أن نطيعه. وتكفى هذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾

لتلفتنا إلى أن طاعة رسول الله ﷺ واجبة علينا بنص القرآن.. وأن كل من يقول غير ذلك يكذبه القرآن، الذى قال صراحة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ .. ولم يضع حدودًا لهذه الطاعة في أشياء معينة.. وإنما تركها مطلقة..

وعلى هذا فلا يقال إن من يترك السنة ولا يعمل بها لا يعاقب .. وأن السنة بأحكامها غير ملزمة للمسلمين.. ونرد على هذا الادعاء، وذلك الافتراء.. بأن كل حكم لرسول الله ﷺ ملزم لنا بالطاعة.

(١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

تصحيح الأحكام

خير دليل

بعض الناس يحاول أن يثير هذه المسألة من حدود غربية؛ ليضع الشك في قلوب المؤمنين فيقول: إن الله قد صحَّح لرسوله أحكامًا كثيرة .. منها: حكم أسرى بدر، الذين كلَّفهم الرسول بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، أو من أخذ منهم الفدية.. فنزل قول الله سبحانه: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾(1).

وفى قضية التبنى – أيضًا – حين تبنَّى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فسمَّاه: زيد بن محمد .. ونزل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ** ﴾(2).

وغير ذلك من القضايا التى صحَّح الله ﷻ أحكامًا لرسوله ﷺ.

ونقول لمن يثير مثل هذه القضايا لهدم السنة: نعم عندما يصحح الله لرسوله بعض الأحكام يكون شرفًا لرسول الله ﷺ أن يصحح له ربه .. إن هذا التصحيح في حد ذاته هو تطمين لنا: أن حكمًا لم يترك بلا تصحيح، وأن منهج رسول الله ﷺ وسنته محروستان بعناية السماء.. وأنه تم تصحيح كل ما أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يقره .. وأصبحت كل أحكام السنة مقرة، وانتهى عهد النبوة إن ما يجب أن نتأكد منه في السنة هو أن رسول الله ﷺ قال .. أى: لابد أن نتأكد من صحة الحديث ونستوثق منه..

(1) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(2) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

هذه هى مهمتنا.. ومادام رسول الله ﷺ قال، فقد صدق .. ومادام قد أمر فهو يطاع..

نأتى بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

لقد ربط الله ﷻ المنزلة العالية في الآخرة وهى الوصول إلى منزلة النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين.. وهي أعلى المنازل في الجنة – ربط الوصول إلى هذه المنزلة بطاعة الله، والرسول .. ولم يقل ﷻ من أطاع الله، وترك سنة الرسول، فهو في أعلى المراتب في الجنة .. لم يقل ﷻ من أطاع ما جاء في القرآن فهو في أعلى المراتب في الآخرة .. بل قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

وهكذا ربط الله – تبارك وتعالى– بين طاعته وطاعة رسوله بأعلى منزلة في الآخرة.. فكل من أراد أن يتبوأ هذه المنزلة العالية. لابد أن يطيع الرسول .. وطاعة الرسول في اتباع سنته ﷺ.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الرسول والتشريع

نأتى بعد ذلك إلى قول الحق ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

هذه الآية الكريمة تعطى لرسول الله ﷺ حق التشريع، وهو ما لم يعطه لرسول قبله..

فقال لنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

لقد كان من مهام محمد ﷺ أن يشرع لأمته، وأن يضع لها من التشريع ما يضمن لها سلامة دينها ودنياها، وما يقيها الفتن، وما يجعلها قادرة على مواجهة متطلبات الحياة الدنيا إلى قيام الساعة .. فهذا الدين جاء ليظل قائمًا مهيمنًا على حركة الكون إلى يوم القيامة .. والمسلمون مؤتمنون على منهج الله.

إن تشريع رسول الله ﷺ واجب التنفيذ بحكم القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم يجيء قول الله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2].

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

ليبين لنا الحق تبارك وتعالى أن طاعة الرسول هى من طاعة الله.. لم يقل ﷻ من أطاع الرسول فهذا حسن، أو من أطاع الرسول فقد استمسك بدينه .. إنما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾.. فكيف يأتي بعد ذلك من يقول إذا لم تطع الرسول، ولم تعمل بأحكام السُّنة، فلا جرم عليك، ولا معصية ولا تحاسب؟!

إننا نقول لهؤلاء الذين يرددون هذه الكلام: من أين جئتم به؟ والله – تعالى– يقول: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[1].

ويقول: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2].

الله – تبارك وتعالى– يحذرنا في هذه الآية الكريمة من عدم طاعته، أو عدم طاعة رسوله.. ويحذرنا من أن الرسول ﷺ مهمته أن يبلغنا، وليس أن يجبرنا على الطاعة، أو على الإيمان .. ومادمنا قد بلغنا.. فإن الحساب يصبح عدلاً في الآخرة .. لأننا بلغنا ولم نطع.

تلك هي بعض الآيات التى جاءت في القرآن الكريم، حول طاعة رسول الله ﷺ لكننى أريد أن أسال هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام: إذا

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٢.

كان كلامكم صحيحًا في أننا لو تركنا سنة رسول الله ﷺ فلا نكون قد فعلنا حرامًا نعاقب عليه.. نقول لهم: علمونا كيف نصلي إذا تركنا السنة؟! من أين نأتى بعدد ركعات كل صلاة ووقتها، وهذا ليس موجودًا في القرآن الكريم، وإنما أتت به السنة المطهرة.

***

قواعد
الإسلام والسُّنة

الله ﷻ شرع الصلاة بالتكليف المباشر لرسوله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج، وليس بواسطة جبريل .. ثم نزل جبريل وعلَّم رسوله ﷺ عدد ركعات كل صلاة ووقتها .. وجاء ذلك في السنة الشريفة، ولم يرد في القرآن الكريم.

إذا كنا سنأخذ برأيكم بأننا لا ننفذ ولا نفعل، إلا ما جاء وذكر في القرآن الكريم .. فمن أين سنأتى بأن صلاة الصبح ركعتان، والظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات.. من أين سنأتى بهذا؟

اذكروا لي ما هى الآية التى نزلت في القرآن الكريم لتدلَّنا على عدد ركعات كل صلاة، حتى نتبع القرآن وحده، ونترك السنة.. إننا إذا فعلنا ذلك، وتركنا السنة ضاعت الصلاة.. والصلاة هى عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين .. ومن ضيعَّها فقد ضيَّعه.

وبالنسبة للحج ومناسكه.. قولوا لنا: كيف نحج، ونطوف دون أن نفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ في السنة الشريفة؟ قولوا لنا: كيف نزكى؟ وكيف نحدد قيمة الزكاة؟ وهى أمور لم تحدد في القرآن الكريم، وأوردتها السنة المطهرة، كيف كنا نعرف أنها اثنان ونصف في المائة بالنسبة للمال.. وكيف نعرف قيمتها بالنسبة للزروع، والأنعام،

وعروض التجارة؟ وكيف كنا نعرف كثيرًا من أحكام هذا الدين، التى وردت في القرآن الكريم مجملة.. ولم توضحها لنا إلا السُّنة الشريفة.

بل إن التطبيق العملى لمنهج الله كله، قام به رسول الله ﷺ فرسول الله هو القدوة لهذه الأمة.. وكل رسول يأتى بمنهج السماء أو كما يقولون المنهج النظرى، ثم يقوم بتطبيقه عمليا أمام من آمنوا به.. ليعرفوا كيف يطبقونه .. ولتكون هناك وحدة التطبيق.. فلا يفعل كل إنسان ما يعتقد أنه صواب.. فيتفرق الناس كل حسب هواه.

إن الرسول المحكوم بمنهج السماء، وبإله يصحح له، ويهديه إلى ما يريد.. هو الذى يضع الإطار المحكم في تنفيذ منهج الله، والمطلوب ممن آمنوا به، واتبعوه أن يظلوا في هذا الإطار، حتى لا ينحرفوا بالدين.. وهذا الإطار هو الذى يعدل حركة العبادة.. إذا حاول الناس الانحراف بها..

فكيف – إذا كان هذا هو منهج الرسالات – يريدون منا أن ننحرف برسالة الإسلام، عن سنة رسول الله ﷺ ويقولون: إذا تركتموها فهذا ليس حرامًا، وليس عليكم عقاب.. إن الله ﷻ قد أعطانا في القرآن الكريم، من الآيات ما يجعلنا ندرك أهمية سُنَّة رسول الله ﷺ وأن هذه السنة إذا تُركت وأُهملت، انحرف الناس بالدين، وأن رسول الله – عليه الصلاة والسلام– هو القدوة لهذه الأمة وقت نزول الرسالة، وسيظل

القدوة لها إلى أن تقوم الساعة.. والله ﷻ يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

الله ﷻ كان قادرًا على أن ينزل المجمل، الذى أورده في القرآن الكريم مفصلاً.. كان قادرًا على أن ينزل عدد ركعات كل صلاة، وكيفية أدائها مفصلاً.. وكذلك الحج، وكذلك الزكاة.. وأحكام الصلاة: من ركعتى السهو، وصلاة الاستخارة، وصلاة الاستسقاء، وغير ذلك..

لقد كان من الممكن أن ينزل هذا كله، كما نزلت كيفية صلاة الخوف، التى تؤدى خلال الحروب، وعدد ركعاتها، لقد شاءت إرادته ﷻ أن يترك ذلك لرسول الله ﷺ وجعل سنته واجبة الاتباع.. فأصبح مالا نستطيع أن نعرف تفاصيله في القرآن الكريم، تأتى السنة الشريفة لتفسره لنا.. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض»[2].

وإذا كان بعض الناس قد ذهب إلى آخر الشوط، في إنكار السنة، حتى إنه طالب بحذف التحيات من الصلاة بدعوى أنها سنة، وليست فرضًا! وإذا كان عبث بعض الناس قد وصل إلى ذلك، وهو بداية عبث لا يعلم إلا الله إلى أين كان سينتهى؟

(١) سورة الأحزاب، الآية:٢١.
(٢) الفتح الكبير ٢/ ٢٧ للحاكم في مستدركه عن أبي هريرة.

إننا سنأخذ الدرجة الأقل التى تقول.. نحن لا نناقش الفروض.. بمعنى: أن ما جاءت به السُّنة، بالنسبة للفروض لا بد أن نأخذ به، ولكننا نناقش ما هو زيادة عن الفروض.. أى: أننا نناقش صلاة السُّنة، والصدقة غير المفروضة، وقيام الليل، والحث عليه، وهو غير مفروض – أيضًا– وغير ذلك من الأمور، التى جاءت بها السنة دون الفرض.. من فعلها يثاب، ومن تركها لا يعاقب، كما يقولون!

***

المحبة في الاتباع

نقول بداية: إن الذين يتخذون هذا السلوك.. يعلنون أنهم لا يحبون الله، ولا يحبون لقاءه.. ذلك لأن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

فكأن الذين لا يتبعون سنة رسول الله ﷺ ويقولون: لا نقوم بها، وليس عليها عقاب، فلماذا نفعلها؟ قد أعلنوا بادئ ذي بدء أنهم لا يحبون الله، وبالتالى فالآية الكريمة تقول: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾.. ومادامو هم يأبون أن يتبعوا رسول الله، فإن الله لا يحبهم..

هذا هو حكم القرآن فيمن يقف من رسول الله ﷺ موقفًا شبه معاد قائلاً: أنا لن أفعل شيئًا من السُّنة، ولا أريد ثوابها، ولا أرتكب حرامًا بتركها. نقول له: وهل تريد حرامًا أكثر من أن يبغضك الله؟!

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

لماذا الافتراء على رسول الله ﷺ؟!

إن الذى لا يتمسك بسنة رسول الله ﷺ ضال.. والذى يتمسك بها، هو الذى يصل إلى درجات عالية إننا نلاحظ أن محاولة العبث بهذا الدين تأتى دائمًا من ناحية السنة.. لماذا؟ لأن الله ﷻ حفظ القرآن الكريم بقدرته هو.. حفظه من العبث البشرى فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

إذا كان هذا الحفظ بالنسبة للقرآن الكريم.. فلن تستطيع يد بشرية أن تعبث به، تزيد فيه كلمة أو تنقص منه كلمة.. لأنه محفوظ بقدرة خالقه.. ولذلك اتجهت كل القوى المعادية للإسلام تحاول أن تعبث بالسنة الشريفة.. فتدس فيها الأحاديث غير الصحيحة وتقف خلف أولئك الذين يقولون: إن من ترك سنة رسول الله ﷺ ولم يعمل بها، لم يرتكب حرامًا ولا يعذب يوم القيامة.

لكن لما كانت السنة الشريفة محفوظة بقدرات البشر.. فإن بعض الناس يحاولون أن يخفوا بعض أحاديثها، أو يضيفوا إليها.. ولكن من فضل الله على المسلمين، أن يتوافر المحققون من علماء المسلمين منذ قديم الزمان.. على جمع أحاديث رسول الله ﷺ وتخريجها، والتأكد من صحتها حتى أصبح الآن هناك كتب موثقة للأحاديث النبوية الصحيحة، مثل البخاري، ومسلم.. هذه الكتب إن وجدت فيها الحديث النبوى،

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

اطمأن قلبك، لصحة الحديث، ومازال علماء الحديث حتى الآن في العالم الإسلامي، يقومون بجهود كبيرة، لتبويب الأحاديث النبوية الشريفة..

إننى أريد أن أناقش ثلاثة أشياء من بين عشرات، أو مئات الأشياء، التى يقال: إنك تستطيع أن تتركها من السنة، دون أن يعاقب عليها. وأنها ليست واجبة عليك.. وأول هذه الأشياء صلاة السنة، أو ركعات السنة، التى تسبق وتلحق بالفروض..

ولن ندخل في جدل حول عددها.. ولكننا نقول إن هذه الصلاة رغبنا فيها رسول الله ﷺ لماذا؟ لأنها تأتى في الآخرة، وتوضع في الميزان.. ورسول الله ﷺ يقول: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[1].

***

(١) رواه الطبرانى في الأوسط والضياء عن أنس – الفتح الكبير ١/ ٤٦٩.

تارك السُّنة

يُعاقب بترك الفرض

وأقول للذى يريد أن يتمسك بصلاة الفرض وحدها ولا يزيد عليها ركعة، أقول له: أضمن أنه سيؤدى الصلاة المفروضة من ساعة التكليف إلى نهاية الأجل؟ أضمن أنه لن يأتى عليه ظرف من الظروف يفوته ولو فرض واحد؟

إذا كانت الحقيقة أن صلاة السُّنة توضع في الميزان لتكمل صلاة الفرض.. فما الذى يجعلك تترك هذه الفرصة، التى هى رحمة لك، وتغلق على نفسك بابًا من أبواب الرحمة، فتحه لك، رسول الله ﷺ إنك إن فعلت ذلك تكون أقرب إلى النار؛ لأن أى هفوة في صلاة الفرض تضيعها، وصلاة السُّنة ثواب. ولكن هل معنى أنها ثواب فقط أن من تركها لا يعاقب؟

نقول: إن من يتركها يعرض نفسه لعقاب شديد، لأنه لا يصبح له رصيد يوضع في الميزان، ليجعل حسناته أكثر من سيئاته.. لقد ألقى بهذا الرصيد، الذى كان يجب أن يتمسك به... فحرم نفسه من رحمة كبيرة في الآخرة.

ثم لماذا لا تصلى السُّنة؟ أتحب رسول الله، أم لا تحبه؟ إن كنت تحبه فإنك تسارع إلى سنته، وإن كنت لا تحبه.. فالله لا يحبك.. لأن القرآن الكريم قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

نأتى بعد ذلك إلى الصدقة، وهى غير الزكاة المفروضة.. يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[1].

الله ﷻ تحدث هنا عن الزكاة.. وميزها بأنها ﴿ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: محدد.. رسول الله ﷺ حثنا على الصدقة.. وهي الزكاة المفروضة، ولكن ما زاد عنها يعتبر صدقة.. هذه الصدقة ليست واجبة بمعنى: أن من يفعلها يثاب، ومن لا يفعلها لا يعاقب.. فهل تركها القرآن الكريم لأنه ليس على تاركها ذنب؟ لا.. بل حث القرآن عليها، وطالب المؤمنين بها زيادة في الأجر، ووصولاً إلى الدرجات العلا.. يقول الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[2].

أقال الله – تبارك وتعالى– في هذه الآية حق معلوم؟ لا.. ولكنه ذكرها حق على إطلاقها كل حسب إيمانه وقدرته..

(١) سورة المعارج، الآيات: ٢٣: ٢٥.
(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥: ١٩.

إن هذه سُنة تنطبق عليها الأوصاف، التى يحاول بعض الناس إشاعتها، من أنها إن تركت لا عقاب عليها.. ولكنها موجودة في القرآن ومذكورة، هل في هذه الحالة نتركها، ولا نعمل بها؟!

وفى نفس الآية مذكور صلاة الليل، وصلاة الليل ليست فرضًا. من فعلها يثاب عليها، ومن تركها لا يعاقب.. ولكن أنتركها؟ أيكون هذا إيمانًا وحبًا لله، ورسوله، أن نأتى للفروض فنؤديها.. ثم يفتح لنا باب من أبواب الرحمة لنزداد ونزداد في الدرجات فنغلقه إننا إن أغلقناه وقعنا في الحرام..لأنه بهذه الطريقة فإن أعمالنا لا يمكن أن تقودنا إلى الجنة..

وما دمنا نعامل الله ورسوله بهذا الجفاء.. فنحن مطرودون من رحمة الله.. ثم كيف نواجه رسول الله ﷺ يوم القيامة ونحن محتاجون لشفاعته، ولشربة من حوضه، وأن يقودنا على الصراط إلى الجنة.. بينما نقف من سُنَّته هذا الموقف المجافى لحبه ﷺ ؟!

إن الذي لا يؤدى سنن رسول الله ﷺ يتساقط لحم وجهه خجلاً عندما يرى رسول الله ﷺ يوم القيامة.. فما بالك بأولئك الذين يَدْعون الناس إلى عدم اتباع السُّنة!

***

المخالفة والهزيمة

الله ﷻ أراد أن يعلمنا ذلك في صدر الإسلام، وكان الدرس الأول في غزوة أحد عندما أمر رسول الله –عليه الصلاة والسلام– الرماة بأن يلزموا سفح الجبل – فلا ينزلون إلى الوادى سواء انهزم المسلمين، أو انتصروا.. وعندما بدأت المعركة، وانهزم كفار قريش، ورأى الرماة الغنائم على أرض المعركة.. طمعوا فيها فغادروا سفح الجبل.. فأنزل الله عليهم الهزيمة، ودار الكفار حول الجبل، وهاجموهم من الخلف.

لو أن الله ﷻ يريدنا أن نفهم أننا عندما لا نطيع رسول الله، ولا نعمل بسنته، فإننا لن نرتكب مخالفة، ولن نرتكب حرامًا لو كان الأمر كذلك لانتصر المسلمون في هذه الموقعة.. ولعرف المسلمون – وقتها أنهم إن أطاعوا رسول الله ﷺ أو خالفوه.. فلا إثم عليهم.. ولكن الله ﷻ أراد للمسلمين – كل المسلمين– منذ بداية الرسالة، وحتى يوم القيامة أن يفهموا أن مخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ تنزل عليهم عقاب السماء، وهزيمة من الله.. حيث تتخلى عنهم عناية الله ورعايته..

لقد كانت هزيمة أُحد درسًا إيمانيًا؛ ليعلم المسلمون جميعًا أن الله ﷻ يغضب على من يخالف أوامر رسوله ﷺ.

إذا كانت هذه المخالفة الواحدة.. أوقعت غضب الله على المسلمين، وأذاقتهم ذل الهزيمة.. فما بالك بكل أحكام السُّنة المطهرة؟ وكيف يأتى الله ﷻ بقدوة تطبق منهجه.. ثم يأتى من يقول لا

تعملوا بها.. أو يقول: من تركها لا إثم عليه.. ولا يدخل في الحرام، ولا يعاقب.

وهكذا نرى، أن كل من يقولون: اتركوا سُنَّة رسول الله ﷺ قلبه آثم، ولسانه آثم، ومطرود من رحمة الله، ومحروم من شفاعة رسول الله ﷺ جزاءً لحضه الناس على الابتعاد عن طاعة الله، وعن منهج الله، وسنة رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه.

***

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
خط الطاعة واحد	٩
تصحيح الأحكام خير دليل	١٣
الرسول والتشريع	١٧
قواعد الإسلام والسُّنة	٢٣
المحبة في الاتباع	٢٩
لماذا الافتراء على رسول الله ﷺ ؟!	٣٣
تارك السُّنة يُعاقب بترك الفرض	٣٧
المخالفة والهزيمة	٤٣